رأي القدس

حكومة المالكي العراقية ومتاعبها

■ يعقد البرلمان العراقي اجتماعا يوم غد من اجل الموافقة على تعيين وزيري الدفاع والداخلية، بعد ان اعلنت مصادر مقربة من السيد نوري المالكي رئيس الوزراء انه جرى التوصل الى اتفاق بين جميع الاطراف المنخرطة في العملية السياسية على هذين المرشحين.

احتمالات التأجيل واردة، لان الخلافات اجلت انعقاد البرلمان يوم الاحد الماضي، لان احد المرشحين لمنصب وزير الدفاع اتهم بالمشاركة في «ام المعارك» كأحد ضباط الجيش العراقي، مما ادى الى اعتراض الائتلاف الشيعي الموحد على هذا الترشيح.

وحتى لو صادق البرلمان على المرشحين الجديدين، فان الاوضاع على الارض لن تتغير، بل ربما تزداد سوءاً، حيث تتواصل الحرب الاهلية الطائفية، وتحصد يوميا ارواح عشرات العراقيين الابرياء.

فالعراق يشهد حاليا ظاهرة الرؤوس المقطوعة بطرق بشعة ومقززة، مثلما يشهد عمليات الانتقام والانتقام المضاد، والذبح على الهوية، والتطهير العرقي، وترحيل العائلات قسرا بسبب مذاهبها، بينما تنهار الطبقة الوسطى كليا، ويهرب افرادها الى الخارج طلبا للسلامة.

السيد المالكي هدد بالضرب بيد من حديد على كل من ينتهك القانون، ووعد باعادة الامن الى ربوع البلاد، وذهب بنفسه الى مدينة البصرة لوضع حد للانفلات الامني، وعمليات القتل الطائفي التي تصاعدت فيها بعد ثلاثة اعوام من الهدوء، ولكن زيارته جاءت بنتائج عكسية تماما، فقد شهدت المدينة تصفيات دموية واقتحام مساجد، وقتل مصلين. فالصراع كان بالدرجة الاولى بين ميليشيات التحالف الحاكم على حصص النفط التي يتم بيعها في الاسواق السوداء لحسابها، وفيما بينها والفصائل الاخرى من المذاهب الاخرى.

حكومة المالكي فشلت في ان تكون وحدة وطنية، وستفشل ايضا في تفكيك الميليشيات التي قالت انها مهمة تحظى بالاولوية بالنسبة اليها، لان زعماء هذه الميليشيات يشكلون اركانها، ويستطيعون اسقاطها، وسحب الثقة منها.

ولعل الاختبار الاكبر كان صمتها على المجازر الامريكية في حديثة والاسحاقي، لان ضحايا هذه المجازر هم من طائفة اخرى، ولان الذين نفذوها هم من الامريكيين، ومن المؤسف ان ردود فعل الكونغرس على هذه المجازر جاءت اضعاف ردود فعل البرلمان العراقي، الذي لم يعقد اي جلسة لمناقشتها، وكأن الذين قتلوا فيها، وبينهم اطفال ونساء هم من غير العراقيين.

وها هي القوات الامريكية تحاصر منطقة الرمادي، وتحشد القوات والمدرعات استعدادا لاقتحامها في اي وقت، وهو الاقتحام المعزز بالطائرات والدبابات الذي سيؤدي الى استشهاد المئات وربما الآلاف.

الحكومة العراقية الجديدة تقف موقف المتفرج ازاء هذه المجازر الامريكية، بينما تقوم ميليشيات تابعة لها، ولاركان الاحزاب الرئيسية المشاركة فيها بعمليات قتل يومية لآلاف الابرياء.

انها حكومة محكوم عليها بالفشل، مثل كل الحكومات التي سبقتها لانها لا تضع مصلحة العراق فوق مصالحها الطائفية، وتفرق بين ابناء الشعب الواحد على اساس الطائفة والعرق. ولهذا فان تعيين وزيرين للدفاع والداخلية حتى لو تمت المصادقة عليه من قبل البرلمان لن يغير من واقع الحال الدموي، ولن يوقف الحرب الطائفية بل ربما يؤدي الى عكس ذلك تماما.

متى هبّة مصر الشعبية لاستيلاد القيادة المرتجاة؟

د. عصام نعمان *

■ كثيرون يسمّونه الزمن العربي الرديء. متى كان زماننا غير رديء؟ عندما زاوجنا بين عروبتنا وإسلامنا وإرتضينا الدين الحنيف هويةً سياسية وحضارية لنا، هل كنا في زمن غير رديء عهدَ السلطنة العثمانية التي سيطرت على معظم القارة العربية؟ وبعد إنهيار السلطنة أواخر الحرب العالمية الأولى العام 1918، هل كان زماننا في ظل حكامنا الجدد الخاضعين، إضطراراً أو إختياراً، للأوصياء الأوروبيين ومن ثم الأمريكيين الطامعين، زمنا غير رديء؟

حتى بعد ان تذوقنا طعم الحرية والكرامة لسنوات قليلة في عهد جمال عبد الناصر، هل ساعدناه وساعدنا أنفسنا للخروج من الزمن الرديء، زمن الهزيمة المستمرة وواقع التجزئة والشرذمة والإستبداد؟

لعل أبرز مزايا عهد عبد الناصر، إلى ميزة إشعارنا بلذة الحرية وطعم الكرامة، انه شكّل في ذاته أول مرجعية قومية في تاريخنا المعاصر، إذ إنفتحت الأمة على نفسها، متجاوزةً عوائق وحواجز، ومخاطبةً العالم بلسان واحد، ومتطلعة إلى أهداف عليا مشتركة.

مع غياب عبد الناصر غابت المرجعية القومية وتعطلت اللغة السياسية الموحدة، وإنحسر التطلع إلى أهداف عليا مشتركة. بل ان التراجع، السياسي والإجتماعي، الذي أعقب هزيمته وهزيمتنا في حرب 1967 أعادنا تدريجياً إلى الزمن الرديء. وما الزمن الرديء؟ انه حال غياب المرجعية، وإنعدام الإرادة، وتجذّر التجزئة، وإستشراء الفساد، وسيطرة الهيمنة الأجنبية.

ليس من المغالاة في شيء القول ان حال الأمة اليوم شبيه بحالها في الجاهلية قبل الإسلام. وما الجاهلية؟ ألم تكن الجهل والجهالة وتعدد الأرباب والأحزاب وإختلاط الأنساب وإستشراء الفساد والنفاق ومساوئ الأخلاق وعبادة أصنام من تمر تصلح تارةً للتضرّع وذرف الدموع وتارة أخرى للأكل وسد غوائل الجوع؟

زماننا الرديء، اليوم، هو جاهليتنا الجديدة بمعظم أمراضها ومساوئها ومظاهرها.

في فلسطين إحتلال صهيوني إستيطاني سرطاني، وبعده ومعه حصار تفرضه أمريكا وأوروبا بقصد التجويع والترويع والإذلال، فلا يلقى عند أهل السلطة إحساسا بخطر وجودي يستوجب الوحدة وترفيع مستلزمات المواجهة بل يتسبّب بإنقسامات جديدة خطيرة محورها السلطة وقد أصبحت غاية في ذاتها، فينحدر أهل السلطة إلى مهاوي حرب أهلية يلتزمها البعض، بوعي أو بغير وعي، لمصلحة الأعداء بحماسة ملحوظة ضد «حماس».

في العراق يتحدث سيف العنف الأعمى بلغة الطائفية والمذهبية والقبلية، ويرسم بالجثث والرؤوس المقطوعة لصالح الإحتلال الأمريكي والعدو الصهيوني حدود عراقٍ ذبيح مُلقى على قارعة لعبة الأمم، لتتناهشه عصابات رجال ذئاب تدّعي الإنتماء إلى كرد في الشمال وسنّة في الوسط وشيعة في الجنوب.

وفي السودان إنتقال مريب من محنة طال زمانها في الجنوب إلى محنة أخرى في الغرب حيث يراد لها ان تطول في دارفور وجوارها، بينما تزكم الأنوف رائحة نفط جديد، تنبعث من بين مسام الرمال، فيسيل لها لعاب الأمريكيين والأوروبيين ويشدون إليها الرحال.

في لبنان عودة حثيثة لعهد القناصل والسفراء، يتقاسمون الطوائف والمذاهب والقبائل والعشائر والأفخاذ، ويتوسلون كما في سالف الأزمان بلغة العصبيات والعنعنات، «فهذا بناقوس يدقّ وذاك بمئذنة يصيح». كل ذلك من اجل خلق حال اضطراب وسلٍّ سيف وحرب في وسط لبنان وشماله، فيضطر معها أهل المقاومة اضطراراً ـ أو هكذا يظنّ أصحاب المخطط الأجنبي الشيطاني ـ إلى التلهّي عن مواجهة العدو الصهيوني في الجنوب بمراقبة أو مقاتلة بعض من الأهل في الوطن الصغير المعاق بفعل طائفية خبيثة مزمنة.

في بلدان الخليج تتراكم الثروات الفلكية بسبب ارتفاع أسعار المشتقات النفطية، فيأتي معها العمال والمستخدمون الأجانب، وجلّهم من شبه القارة الهندية، ليعملوا ويستوطنوا ويقيموا مجتمعات، وربما مستوطنات، تطالب في مقبل الأيام بالحكم الذاتي وربما بالاستقلال تحت رايات حقوق الإنسان والديمقراطية وتقرير المصير، فتساندها دولتان نوويتان على الأقل، الهند وباكستان، فتقوم بين ظهرانينا بمرور الزمن وفقدان المناعة القومية وقصر النظر الوطني اسرائيلات آسيوية في جزيرة العرب تحاكي في سلوكها وتطلعاتها إسرائيل الأوروبية المزروعة والمتمددة في بلاد الشام.

ما العمل؟

يقول ضمير العرب سليم الحص في مقالة عقدها أمس في صحيفة «السفير» البيروتية إن التخلف واقع يتميّز بقوة الإستمرار إلى ما لا نهاية، ما لم تخترقه فتبدل مساره قوة إعتراضية تتجسد إما بقيادة تاريخية خارقة أو بهبّة شعبية جارفة، ولا مردّ للتغيير الأمثل في حال تقاطع الظاهرتين».

لعل الرئيس الحص يفتقد مثلي المرجعية في حياتنا العربية. المرجعية أوسع من القيادة وأعلى منها. قد تكون هي نفسها قيادة في مرحلة من المراحل، لكن وجودها يبقى شرطاً لنشوء أية قيادة.

المرجعية كيان مادي ومعنوي، متعدد المزايا والجوانب والأبعاد. قد تكون شخصا عالما متفوقا ملهما، وقد تكون هيئة مؤلفة من أصحاب كفاءات وإرادات ومواهب ورؤى، وقد تكون بلدا او دولة فيها ذلك الكيان المرتجى بتجلياته الثلاثة.

لعل الحص أصاب برهانه على «هبّة شعبية في طول الوطن العربي وعرضه» تكون بمثابة قابلة قانونية لتوليد القيادة التاريخية المرتجاة. لكن الهبّة الشعبية المنشودة تبقى بمفاعيلها المبتغاة قاصرة عن توليد قيادة تاريخية ما لم تنطلق من بلد او دولة تشكّل، بحجمها وتراثها وطاقاتها وشعبها وموقعها وواقعها ومرتجاها، كيانا مرجعياً قادراً على إستيلاد القيادات التاريخية وعلى إطلاقها وتفعيلها وتثميرها.

هذا الكيان المرجع هو مصر. عليه ينعقد الرجاء مهما بدا حاضره متراجعا وحكومته مترهلّة. ثمة صحوة تعتمل في قواه الحية وشعبه الطيب، لا بد من أن تتفجر عاجلا أو آجلا هبّةً شعبية ترفع الى قيادة البلاد كوكبةً من قواها الحية، تحاكي تلك التي رفعتها هبّةٌ مماثلة في مطالع الخمسينات من القرن الماضي.

مصر التي تستبطن في تراثها وحاضرها وتطلعاتها وآلامها وآمالها الكيان المرجع ترشّحها القوى الحية في شعبها كما في الأمة لتهبّ وتغيّر، وتقود وتعمر، وتخلّص العرب من جاهلية العصر، وتصوغ معهم قواعد النصر.

* كاتب وسياسي من لبنان

الصين تتصدر العالم على أشلاء قوى الحرب الباردة

د. سعيد الشهابي *

■ يصعب احيانا التمييز بين ما هو «تنجيم» وما هو «استشراف علمي» في ما يتعلق بالنظر للمستقبل. ففي «عصر العلم» كما يحلو للكثيرين تسمية الزمن الذي نعيشه، يصعب الاقتناع بما يقوله «المنجمون» او «قراء الكف» او «قراءة الطالع» اعتمادا على نجم الشخص المرتبط عرفا بالشهر الذي ولد فيه. وبرغم التشبث بمقولات التقدم والعلم، فما يزال الاعتماد على التنجيم ممارسة واسعة حتى في اوساط السياسيين والشخصيات المعروفة. وما المهرجان الكبير الذي أقيم الاسبوع الماضي في بيروت لقراءة الطالع الا مؤشر لانتشار الظاهرة على نطاق اوسع مما يتصوره الكثيرون. وقد قيل ان الاميرة ديانا كانت تتردد على قراء الكف للتعرف على ما يخبئه المستقبل لها. وقيل ايضا ان الرئيس الامريكي بيل كلينتون، يفعل ذلك ايضا. ليس الموضوع هنا الخوض في مدى صحة تنبؤات قراء الكف والمخبرين عن الطالع، بل الاشارة الى شياع هذه الممارسة، وان من غير المستبعد ان بعض ما يطرحه السياسيون حول المستقبل قد لا يكون مؤسسا على قراءات علمية وارقام حقيقية، وانه اما ان يكون من نوع قراءة الكف والطالع، او تخرصات لا تستند الى دليل علمي. وهنا مكمن الخطورة. هذا لا يعني ان القراءات العلمية القائمة على الحقائق والارقام واستطلاعات الرأي العام لا يمكن الاعتماد عليها في استشراف المستقبل، ولا يلغي اهمية النظر الى الامام والتخطيط له بناء على ما هو متوفر من معطيات وما هو معروف من قوانين تضع تلك المعطيات في أطر أوسع لتكشف آفاق المستقبل وما ينطوي عليه. ولكن من غير المقبول ان تؤسس علاقات الدول وقضايا الحرب والسلم على اساس التخرصات والظنون والشكوك ومحاكمة النوايا، لان ذلك هو الطريق الى الكارثة.

في الفترة الاخيرة طرحت «استشرافات» مستقبلية ذات علاقة تتجاوز الحدود الاقليمية، وتتصل باوضاع العالم وأمنه ومستقبله السياسي والاقتصادي والسياسي، بعضها مؤسس على اساليب ورؤى علمية، وبعضها على تخرصات وتنجيم وربما «قراءة طالع». ومن القضايا «الطالعية» ما يشاع حول المشروع النووي الايراني، وان طهران، حسب ما صرح به في لندن الاسبوع الماضي جون نيغروبونتي، مدير الاستخبارات القومية الامريكية، سوف تمتلك القنبلة النووية بحلول العام 2010، برغم الرقابة الصارمة على المشروع النووي الايراني، او ان الشرق الاوسط سوف يتحول الى واحة ديمقراطية في ظل النفوذ الامريكي المتنامي في المنطقة. غير ان هناك استشرافات مستقبلية تعتمد لغة الارقام والحقائق، فتكون اقرب للواقع. أحد هذه الاستشرافات ان الصين سوف تصبح قوة منافسة للولايات المتحدة بعد أقل من عقد ونصف. يقول المسح الذي قامت به مؤسسة برتلزمان الالمانية، والذي تمت فيه مقابلة 10250 شخصا من كافة مناطق العالم ان 57 بالمائة من المشاركين يعتقدون ان الولايات المتحدة سوف تبقى قوة عالمية بحلول العام 2020 مقارنة بـ55 بالمائة يقولون ان الصين سوف تحتل موقعا مماثلا. بينما النسبة في الوقت الحاضر متفاوتة جدا. فالذين يقولون ان الولايات المتحدة تحتل مركز الصدارة في العالم في الوقت الحاضر تبلغ نسبتهم 81 بالمائة مقارنة بـ45 بالمائة يعتقدون ان الصين وصلت الى هذا الموقع. الاستطلاع قامت به مؤسستا «جالوب» و «تي ان اس امنيد» في تسعة بلدان هي البرازيل والصين وفرنسا وألمانيا والهند واليابان وروسيا وبريطانيا والولايات المتحدة في الفترة ما بين تشرين الاول (اكتوبر) وكانون الاول (ديسمبر) 2005. واظهر الاستطلاع ان الصينيين انفسهم يعتقدون بان نفوذهم على الصعيد الدولي في تصاعد، وبينما يرى 44 بالمائة من الصينيين ان بلدهم في الوقت الحاضر قوة عظمى، فان 71 بالمائة من الصينيين يعتقدون انها ستصبح قوة عظمى في 2020. هذا التنبؤ قائم على أسس علمية، وليس من قبيل قراءة الطالع واستنطاق الأبراج. فهناك ظواهر عديدة تدعم هذا التنبؤ بشكل قوي: اولاها ان الصين تشهد منذ سنوات نموا اقتصاديا غير مسبوق، والثانية ان الولايات المتحدة تعاني من عجوزات متواصلة في ميزان المدفوعات، والثالثة ان المغامرات العسكرية لواشنطن تستنزف قوتها بمعدلات كبيرة، ورابعها ان الحضارت تبدأ انحدارها عندما تتحول الى قوة عسكرية تخوض الحروب تباعا، بعيدا عن لغة الحوار والتفاهم.

تقول لغة الارقام ان مجموع الصادرات والواردات الصينية في الشهور العشرة الاولى من العام الماضي تجاوزت 1148 مليار دولار، وهو ما يعادل مجموع الارقام للعام السابق كله التي بلغت 1155 مليار دولار، ويعني زيادة سنوية بمعدل 24 بالمائة. فالصادرات قفزت بنسبة 31,1 بالمائة لتصل 614,5 مليار دولار، بينما ارتفعت الواردات بنسبة 16,7 بالمائة سنويا لتصل 534,1 مليار دولار. وبلغ الفائض التجاري اكثر من 80 مليار دولار. ويتوقع ان يصل هذا الفائض الى اكثر من 100 مليار دولار هذا العام. وبلغ حجم التبادل التجاري بين الصين والولايات المتحدة الامريكية 172,3 مليار دولار ومع اليابان 150 مليار دولار. هذه الارقام المرعبة حولت الصين الى بلد ناهض في النواحي الاقتصادية والصناعية، بدأ يشق دربه نحو ما يشبه الهيمنة على السوق التجاري العالمي. في الوقت نفسه، توسع عجز الميزان التجاري في الولايات المتحدة الامريكية في الفترة نفسها من العام السابق بما نسبته 11 بالمائة، بينما بلغ العجز في العام الماضي حوالي 700 مليار دولار، مسجلا ارتفاعا يبلغ 18 بالمائة مقارنة بالعام السابق. وقد لعب صعود اسعار النفط دورا في هذا الصعود، وكذلك تراجع مبيعات الولايات المتحدة من الطائرات والاضرابات التي عمت ذلك القطاع. يضاف الى ذلك حالة النزف المستمرة في الموازنات العسكرية بسبب توسع دائرة النشاط العسكري الامريكي خصوصا في العراق التي اصبحت جرحا نازفا للولايات المتحدة بدون مردود ملحوظ في الافق القريب. يضاف الى ذلك ان الاضطرابات السياسية والامنية في العالم، تضغط بشكل مضطرد على اسعار النفط وتزيد من اعباء الواردات النفطية على الدول الصناعية، كما تؤدي الى تراجع دورة الانتاج. واشنطن تدرك ذلك جيدا وتسعى لاحتواء الآثار الناجمة عن ارتفاع اسعار النفط، غير انها تزيد الوضع اضطرابا باعلان النوايا الحربية ضد دول منتجة للنفط مثل ايران، الامر الذي ادى الى خلل كبير في السوق النفطية الدولية، وما يزال الامر كذلك.

وثمة بعد آخر للازمة يتمثل بحقيقة معروفة لدى من يقرأ تاريخ نشوء الحضارات وسقوطها، وهي ان الحضارة الناهضة عادة تتميز بالاستقرار والهدوء والعمل الداخلي البناء، وان للحروب انعكاسات سلبية واسعة على الحضارات، فهي تنخر في كيانها، وتضعفها تدريجيا حتى تزول. المشكلة ان القوة العسكرية المفرطة تخلق في نفوس قادة الدول الكبرى مشاعر الغرور، وانهم قادرون على تحقيق ما يريدون بتلك القوة، وان احدا لا يستطيع مواجهتهم. هذه الحروب تصنع الأعداء، وتوحد مواقف الدول الاخرى ضد هذه القوة ذات الاطماع التوسعية التي لا حدود لها. وتجربة العالم مع الامبراطورية البريطانية يؤكد ذلك. فقد انتفضت شعوب العالم الواقعة ضد الاحتلال البريطاني، الواحد بعد الآخر، حتى أنهكت تلك القوة وتلاشت، وتحجمت ضمن حدود الجزر البريطانية. والولايات المتحدة تواجه اليوم اوضاعا مماثلة، فقدرتها يتصرفون من منطلق امتلاك القوة القادرة على صنع كل شيء، ولا ينظرون الى الآثار المستقبلية لتراكم مشاعر الغضب لدى الشعوب المغلوبة على امرها والتي تدفع ثمن الظلم الامريكي الحالي. الاوضاع الاقتصادية الامريكية في الوقت الحاضر لا تنذر بخطر اقتصادي وشيك الوقوع بالولايات المتحدة الامريكية، ولكن تصاعد عجز الميزان التجاري بشكل مضطرد يعتبر مؤشرا لتراجع القوة الاقتصادية الامريكية على الصعيد العالمي.

واذا كانت الولايات المتحدة قد استطاعت توسيع نفوذها في مناطق نائية عن حدودها مثل وسط آسيا وافغانستان والشرق الاوسط، فانها بدأت تفقد النفوذ السياسي والايديولوجي في ساحتها الخلفية. فدول امريكا اللاتينية تمر بمرحلة سباق بين الحكام المحسوبين على التيار الديمقراطي الاجتماعي مثل تشيلي والبرازيل، والحكام ذوي الامتداد الجماهيري مثل فنزويلا وبوليفيا. هذا التوازن مهما كان شكله يتخذ في اطره العامة منحى يساريا، الامر الذي يزعج الساسة الامريكيين كثيرا. وقد جاء اعادة انتخاب آلان غارسيا رئيسا لبيرو يوم الاحد الماضي ليكرس عمق الفجوة بين امريكا اللاتينية والولايات المتحدة الامريكية، وليفهم الساسة في واشنطن ان هناك منحى دوليا يبتعد تدريجيا عن فلكهم السياسي، ويتجه نحو المزيد من التحرر من الهيمنة الامريكية. ان تلاشي النفوذ الامريكي بشكل تدريجي من الساحة الخلفية لها (امريكا اللاتينية) يؤكد مدى ما آلت اليه عزلة واشنطن، ويؤكد توجه الشعوب بعيدا عنها. فما هو مستقبل الولايات المتحدة؟ وهل سيختلف عما آلت اليه الحضارات الاخرى؟ قبل أكثر من مائة عام، وبالتحديد في 22 حزيران/ يونيو 1897 أقيم في لندن اكبر مهرجان في العالم بمناسبة مرور ستين عاما على تولي الملكة فيكتوريا عرش المملكة المتحدة. وقد وصف المؤرخ الشهير، أرنولد توينبي الذي كان لا يتجاوز الثامنة آنذاك ذلك المهرجان الكبير لاحقا: «أتذكر الاجواء آنذاك... لقد كنا على قمة العالم، وقد وصلنا تلك الذروة لنبقى هناك الى الأبد. ولكن مع الاسف هناك شيء اسمه التاريخ، ولكن التاريخ شيء مر يحدث للناس الآخرين». وكما كتبت صحيفة «نيوزويك» في عدده الاخير: «لقد حل الامريكيون مكان البريطانيين على ذروة العالم، ونحن قلقون الآن من ان يكون التاريخ قد لحق بنا في شكل «ثلاثة مليارات رأسماليين جدد» وفق تسمية طلايد بريستويتش في كتابه الاخير، من بلدان مثل الصين والهند والاتحاد السوفييتي السابق، وجميعها كانت يوما تتهكم باقتصاد السوق العالمية، ولكنها الآن متحمسة للمشاركة فيه بقد أكثر تعقيدا».

فما هي أسباب صعود الحضارات وسقوطها؟ الصين اليوم تعيش حالة انتعاش اقتصادي هائل، وقد اصبحت مصدر قلق كبير لدى الغربيين عموما، والامريكيين على وجه الخصوص. وليس مستبعدا ان تكون التحركات الامريكية في الشرق الاوسط مرتبطة بشكل او آخر بهذه التطورات التكنولوجية التي تحدث في الصين. فقد اصبح نفط الشرق الاوسط عاملا اساسيا للتطور التكنولوجي الصيني، ويمكن اعتبار سياسات واشنطن الاخيرة ثنائية المنطلقات والاهداف، فمن جهة يبدو الاسلام السياسي ودوره في تحريك المجتمعات الاسلامية نحو التحرر، عاملا جوهريا في اعادة صياغة أسس التوازن بين الغرب والاسلام، ومن جهة اخرى يبدو صعود النمور التجارية في الصين والهند امرا مزعجا للساسة الامريكيين. ومع توسع الفجوة في الميزان التجاري بين الصين والولايات المتحدة لصالح الاولى، بدأ العد التنازلي للهيمنة الامريكية على العالم، واصبح هناك سباق مع الزمن على امتلاك اسباب القوة، ومن اهمها توفير مصادر مستدامة للطاقة اللازمة للصناعات في بلدان الشرق. هذا التوازن القلق بين الولايات المتحدة والصين يمثل ثقلا آخر على صعيد المشكلة النووية التي افتعلتها واشنطن مع طهران، والتي وقفت الصين فيها ضد المحاولات الامريكية لتسييس تلك المشكلة ومحاولة جر الموقف الدولي لصالح المزيد من الضغوط والحصار الاقتصادي على طهران. الصين، ومعها روسيا، تدركان خطر السماح باستمرار الهيمنة الامريكية على ميزان القوى الدولي وفق القواعد التي فرضت نفسها خلال الحرب الباردة، وبالتالي فقد رفضتا مسايرة واشنطن في سياسة التصدي لايران باساليب خارج ما يسمح به القانون الدولي، وأفشلتا الخطة الامريكية لجر العالم لمواجهة جديدة مع ايران، كما فعلت مع العراق. ان صعود النجم الصيني ظاهرة لم تتولد مؤخرا بل كانت واضحة في اذهان المنظرين الامريكيين، ومنهم صموئيل هانتينغتون الذي رأى في صعود ذلك النجم تهديدا للهيمنة الامريكية، ودعا لحقا لاقامة اجواء للتحاور والتفاهم بدلا من السماح للامور بالتدهور نحو المواجهات ضمن اطار سياسة كسر العظام.

في ذروة الثورة الصناعية كانت بريطانيا تسمى «ورشة العالم»، وهذا التوصيف ينطبق في الوقت الحاضر على الصين التي تصنع ثلثي الطابعات وافران المايكروويف واجهزة تدوير الاقراص والاحذية. ان الصين اليوم تهيمن على الصناعات الرخيصة بشكل مطلق، ولا تستطيع الدول الغربية محاكاتها في التصنيع والمحاكاة، والروح المفعمة لدى الصناعيين والتجار الصينيين للتوسع التجاري الى اوسع مدى. ولذلك فالتنبؤ بالهيمنة التكنولوجية للصين في السنوات الخمس عشرة المقبلة ليس كلاما من نوع قراءة الطالع التي عقد لها الاسبوع الماضي اكبر مهرجان في الشرق الاوسط في بيروت، وليس ضربا من خيال او تخرص، بل هو اشراف لمستقبل قريب انطلاقا على ما هو متوفر من معطيات وما يلازمها من انعكاسات على مسيرة الامم. هذا التقدم الصيني يخفي تحته جدلا واسعا في الدوائر الشيوعية التي ساءها الانفتاح السوقي الواسع، والتخلي التدريجي عما تعتبره مبادئ ماركسية ثابتة. هذا الجدل بدأ في الفترة الاخيرة يظهر الى العلن، خصوصا على صفحات جريدة «الشعب» اليومية التي كشفت وجود سجال واسع بين دعاة الانفتاح الاقتصادي والاصلاح من جهة، والمنظرين الشيوعيين من جهة اخرى. مع ذلك فالواضح ان الصين، بعد حادثة ميدان تاينمن في 1989، حسمت امرها، وقررت السير على الطريق الذي قد يوصلها الى الذروة، على انقاض، ليس الاتحاد السوفييتي فحسب، بل الولايات المتحدة ايضا.

* كاتب وصحافي بحريني يقيم في لندن

الاستفتاء الفلسطيني

محمد كريشان

■ إلى حد الآن لم يتضح نهائيا ما إذا كان سيتم اللجوء إلى الاستفتاء في الأراضي الفلسطينية حول وثيقة الأسرى التي قدمت إلى اجتماعات الحوار الوطني أم أن هذا الحوار، وبعد أن مدد، سيستمر حتى التوصل في النهاية إلى أرضية مشتركة. مع ذلك، فإن ميزة الاستفتاء ـ إذا ما تم ـ هو أنه سيشكل فرصة ذهبية يوضح فيها الشعب الفلسطيني في الضفة الغربية وقطاع غزة، لأول مرة، رؤيته للتسوية السلمية التي يمكن أن يقبل بها وذلك بعد أن حسمت قرارات الشرعية الدولية ما تريده دون العودة إليه، وكذلك فعلت اتفاقات أوسلو وحتى مبادرة السلام العربية.

ما تعيشه الأراضي الفلسطينية الآن هو في العمق تضارب بين مشروعين، الأول يتبناه الرئيس محمود عباس و«فتح» ومن يقف إلى صفهما والثاني تتبناه حماس ومن يقف إلى جانبها، لكن الطريف هنا أن لكل مشروع شرعيته الشعبية المبنية على صناديق الاقتراع فالرئيس عباس اختير في انتخابات حرة ونزيهة جرت في كانون الثاني (يناير) 2005 وكذلك حماس في كانون الثاني (يناير) 2006 وبالتالي فلكل من الطرفين التفويض الشعبي الذي به يفتخر ويحاجج.

الشرعيتان قد تبدوان متناقضتين ولكنهما برأيي ليسا كذلك، بمعنى أن المضمون السياسي العام الذي أعلنه أبو مازن هو الذي أوصله إلى رئاسة السلطة الوطنية في حين أن ما أوصل حماس هو نظافة يد مناضليها وبعدهم عن الفساد وقربهم من الناس وحاجياتهم الاجتماعية. هذا يقود في النهاية أن كثيرا من عامة الفلسطينيين، خارج الانضباط التنظيمي التابع لـ «فتح» أو «حماس»، اختارا عن طيب خاطر واقتناع كلا من عباس وحماس في نفس الوقت، اختاروا الأول لواقعيته وبعده عن الشعارات واختاروا الثانية للصيت الحسن، وهما في ذلك لا يرون تناقضا فقد يكون الفلسطيني متبنيا للتسوية السياسية مع إسرائيل عبر المفاوضات وقرارات الشرعية الدولية ولهذا أيد ما قاله أبو مازن في برنامجه الانتخابي حتى في جوانبه المثيرة للجدل كمعارضته لما وصفه بعسكرة الانتفاضة، وفي ذات الوقت لم يعرف عن مناضلي حماس وكوادرها إلا كل انضباط وتفان في خدمة الغير وورع لهذا صوت لهم، فضلا عن أن كل من لم يتلوث بالسلطة هو في المطلق محبوب ومحترم.

وبغض النظر عن أي جدل قانوني حقيقي أو مفتعل عن الجوانب القانونية والسياسية لوجاهة استفتاء الشعب الفلسطيني بعد أشهر قليلة من انتخابات تشريعية أوصلت حماس إلى السلطة في أول تداول سلمي على السلطة في التاريخ العربي الحديث، تحت الاحتلال للأسف، فمن حق الرئيس عباس أن يلجأ لهذا الاستفتاء ليتبين مدى صحة أو خطأ أن الناس تقف معه في تصوره العام للتسوية التي يريدها مع الإسرائيليين برعاية دولية، تماما كما من حق حماس أن تظل مصرة على عدم تغيير جلدها بتبنيها لمواقف سياسية ليست من مبادئها ولا برنامجها.

من هنا ستكون ميزة الاستفتاء الكبرى فإذا قال الفلسطينيون بحرية وشفافية «نعم» لوثيقة الأسرى فإنه بذلك يقول: نعم لقد اخترنا أبو مازن ونجدد له الدعم للتفاوض مع الإسرائيليين بناء على الأسس المعروضة في الاستفتاء وهذا لا يعني بالضرورة إلغاء النعم التي أعطيناها لحماس في الانتخابات الماضية، أما إذا قالوا «لا» لوثيقة الأسرى فذلك يعني بالضرورة أن معظم الفلسطينيين يقولون: لقد ارتضينا حماس حكومة ومشروعا سياسيا رافضا للتسوية كما هي معروضة علينا، وفي هذه الحال على الرئيس عباس أن يستخلص العبر اللازمة.

إذا لم يكن للاستفتاء من ميزة إلا هذا التوضيح الملح لوجب علينا جميعا دعمه. أما من كان يخشى هذا التوضيح البالغ الأهمية فهذه مسألة أخرى.

القدس العربي
يومية سياسية مستقلة
تطبع في لندن ونيويورك وفرانكفورت وتوزع في جميع انحاء العالم
الاشتراكات:
الاشتراك السنوي 450 جنيها استرلينيا في عموم بريطانيا و 750 دولارا امريكيا للوطن العربي وخارج بريطانيا بما في ذلك اجور البريد.

الناشر:
مؤسسة القدس العربي للنشر والاعلان

رئيس التحرير:
عبد الباري عطوان

المقر الرئيسي (لندن): 164/166 كنج ستريت، همرسميث، لندن دبليو 6 او كيو يو
هاتف: 8008 741 0208 (6 خطوط).
فاكس: 8902 741 0208 أو 7637 748 0208
مكتب القاهرة: 43 أ شارع قصر النيل ـ الدور الاول ـ شقة رقم (2). هاتف/فاكس: 3901523(202)
مكتب المغرب: 80 شارع فال ولد عمير شقة 7 الطابق الرابع ـ الرباط. هاتف/ فاكس: 770594(37 212)
مكتب عمان: شارع الصحافة مجمع البداد التجاري الطابق الرابع.
هاتف: 5337920 فاكس: 5337928 (9626)
مكتب باريس: هاتف ـ فاكس: 57364 420 (331)

Al-Quds Al-Arabi
daily Independent News Paper
Published In London, New York and Frankfurt by Al Quds Al- Arabi Publishing LTD
Circulated in Europe, Middle East, North Africa and North America.
Editor In Chief
ABDEL BARRI ATWAN

Head Office (London): 164-166 King Street, Hammersmith, London W6 0QU England
Tel: 0208-741 8008 (6 Lines) Fax: 0208-741 8902 / 748 7637
email: alquds@alquds.co.uk * Internet: www.alquds.co.uk
Cairo Office: 43 a Kasser Al Neel St, First Floor, Flat No (2).
Tel/Fax: (202) 3901523
Morocco Office: 80 Fal Ould Omeir Str. Flat No.7 - Rabat - Morocco
Tel/Fax: (212 37) 770594
Amman Office: Al Sahafa St. Badad Business Complex.
Tel: (9626) 5337920 Fax: 5337928
Paris Office: Tel / Fax: (331) 420 57364